المجلس (١٠)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ الأَتَمَّانِ الأَكْمَلَانِ عَلَىٰ المَبْعُوثِ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

أَمّا بَعْدُ؛

فإنَّ الله عَزَّوَجَلَّ قد بعث الرسل جميعًا يدعون إِلَىٰ توحيده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ويأمرون بإخلاص العبادة له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وختم الله عَزَّوَجَلَّ الأنبياء بأشرفهم وأكملهم: مُحَمَّد بن عبد الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الَّذِي دعا إِلَىٰ توحيد رب العالمين، وحذَّر من الشِّرْك كله، وتعلَّم الصَّحَابَة رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِم من رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التَّوحِيْد، وحققوه وعلَّموه، ودعوا النَّاس إليه، فوصلنا ذلك بحمد الله بسلسلةٍ من نور إِلَىٰ صحابة رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِلَىٰ رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فكان أغلى الكنوز وأشرفها: التَّوحِيْد، كما جاء به مُحَمَّدٌ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأصول أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة، فأنت يا عبد الله إذا وفَّقك الله عَزَّوَجَلَّ إِلَىٰ العلم بِالتَّوحِيْدِ، إِلَىٰ العلم بأصول أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة، وعملت بذلك، وحققته، وتمسكت به؛ فإنك قد أوتيت حظًّا عظيمًا، وبوئت من ربك مقامًا كريمًا، فينبغي عليك أن تحمد الله عَزَّوَجَلَّ عَلَىٰ هٰذِه النعمة، وأن تشكر الله عَلَىٰ هٰذِه النعمة، وأن تثبت عَلَىٰ هٰذِه النعمة.

وَمِمَّا ينبغي للموحِّد ومن يسير عَلَىٰ أصول أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة أن يعتني به: أن يقرأ في كتب التَّوحِيْد، وكتب أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة، وألَّا يطول عهده بتلك الكتب، ونحن في درسنا هٰذَا نقرأ في كتابٍ صغيرٍ حجمه، عظيمٍ نفعه، في كتابٍ يتعلَّق بِالتَّوحِيْدِ، في كتابٍ هو كالدورة التدريبية للمسلم عمومًا، ولطالب العلم خصوصًا، في ردِّ الشبهات عن دينه، وعن توحيده، وعن أصول أهل السُّنَّة، وعن الحقِّ الَّذِي هو عليه، كيف يرد الشبهات عن قلبه؟ وكيف يكشفها لمن حوله؟

هٰذَا الكتاب فيه بيان معالم هٰذَا المنهج الَّذِي يحتاجه المسلم في كل زمانٍ، ونحن في زماننا هٰذَا، وفي أيامنا هٰذِه أحوج ما نكون إِلَىٰ هٰذَا المنهج، حيث كثرت الشبهات، وتفنَّن أصحاب الشبهات في إرادها، والتلبيس بها عَلَىٰ المسلمين.

نحن نشرح كتاب "**كشف الشبهات**" لشيخ الإسلام الإمام المُجدِّد مُحَمَّد بن عبد الوهَّاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ عَزَّوَجَلَّ، وقد علمنا أنَّ الرد عَلَىٰ الشبهات يكون بردين أو طريقين:

⇦ **أَحَدُهُمَا**: مجملٌ عام، وهو الجواب اذي تُدفع به كل شبهة، وتُرد به كل شبهة، وذلك أنَّه يجب عَلَىٰ المؤمن الموحِّد أن يوقن ويعلم أنَّ التَّوحِيْد وأصول أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة محكماتٌ، قد دلَّت عليها أدلةٌ كثيرةٌ محكمات، فإذا أورد عليه موردٌ ما يخالف ما عرفه من التَّوحِيْد، أو ما عرفه من أصول أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة؛ فإنه يرد ذلك بأن يقول: إنَّ ما علمته إِنَّمَا هو من المحكمات، وما تورده أَيُّهَا المورِد عَلَىٰ فهمك أنت لَا شَكَّ عندي أنه من المشتبهات، والمشتبهات يجب ردها إِلَىٰ المحكمات؛ ليتضح معناها، ولا يجوز ترك المحكمات من أجلها.

هٰذَا الَّذِي علَّمنا إيَّاه ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وعلَّمنا إياه رسولنا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فكل أمرٍ يورده موردٌ يوهِم به القدح في التَّوحِيْد، أو القدح في أصلٍ من أصول أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة؛ فاعلم موقنًا أَيُّهَا المسلم أنه من المشتبهات، وأنه يجب رده إِلَىٰ المحكمات، وإذا رُدَّ إِلَىٰ المحكمات؛ اتضح معناه، ولا يجوز للمسلم أن يترك المحكمات الَّتِي علم إحكامها من أجل هٰذِه المشتبهات، ما أعظمها من قاعدة! وما أقومها من قاعدة! وما أنفعها من فائدة يحمي بها المؤمن قلبه، ويحمي دينه، ويحمي من حوله من تلبيسات الملبسين.

⇦ **وَأَمَّا الرد المُفَصَّل**: فهو الرد عَلَىٰ كل شبهةٍ بعينها، برد يدمغها، ويردها عَلَىٰ أهلها، منكسرةً لا وزن لها، وَهٰذَا ما نشرع به في مجلسنا اليوم، فيتفضل الابن نور الدين -وَفَّقَهُ اللهُ والسامعين- يقرأ علينا من حيث وقفنا.

(المتن)

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلَىٰ أَشْرَفِ الأَنْبِيَاءِ وَالمُرْسَلِينَ نَبِيِّنَا مُحَمَّد، وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ. أَمَّا بَعْدُ؛ فاللهم اغفر لنا ولشيخنا والسامعين.

قَالَ الإمام المُجدِّد شيخ الإسلام مُحَمَّد بن عبد الوهَّاب رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى في رسالته "كشف الشبهات":

وأَمَّا الْجَوَابُ الْمُفصَّلُ: فإنَّ أَعْدَاءَ اللهِ لَهُم اعْتِرَاضَاتٌ كَثِيرَة عَلَىٰ دِينِ الرُّسُلِ، يَصُدُّونَ بِهَا النَّاسَ عَنْهُ.

(الشَّرْحُ)

تقدَّم معنا معاشر الأفاضل: أنَّ دين الرسل واحد، كما قاله النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فالدين الَّذِي بُعث به الرسل جميعًا، وأمر به النَّاس جميعًا هو توحيد الله عَزَّوَجَلَّ:

توحيد الألوهية: وهو عبادة الله وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، هو الإخلاص لله في العبادة، وأنَّ صرف شيءٍ من العبادة لغير الله شركٌ أكبر، فَهٰذَا هو معنى «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**»، الَّتِي جاء بها جميع الرسل، فمعناها: "**لا معبود بحقٍّ إِلَّا الله**"، فكل من صرف شيئًا من العبادة ولو كانت قليلة، ولو كانت يسيرة لغير الله عَزَّوَجَلَّ؛ فقد ظلم ظلمًا كبيرًا، وظلم ظلمًا عظيمًا، فأشرك بالله عَزَّوَجَلَّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، هٰذَا الَّذِي جاء به الرسل جميعًا عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

ثُمَّ إنَّ الشيطان لبَّس عَلَىٰ بعض من ينتسبون إِلَىٰ الإسلام، عَلَىٰ بعض من يقولون: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**»، لبَّس عليهم بالغلو في الصَّالِحِيْنَ، حَتَّىٰ صرفوا لهم حقَّ ربهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وعبدوهم من دون الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وألقى إليهم شياطين الإنس والجن شبهاتٍ يظنون معها أنهم عَلَىٰ الخير، وينفرون بسببها من التَّوحِيْد ومن أهل التَّوحِيْد، وينفِّرون عامة المسلمون بها من التَّوحِيْد ومن أهل التَّوحِيْد، يلبسون بها عَلَىٰ العامة، ويسبون أهل التَّوحِيْد، ويصفونهم بأوصافٍ منفِّرة حَتَّىٰ يغترَّ العامة بكلامهم، وَحَتَّىٰ يستميلوا قلوب النَّاس، وَهٰذَا ما تراه اليوم واضحًا بيِّنًا جليًّا في وسائل التواصل الاجتماعي.

فينبغي عَلَىٰ المسلم أن يعرف كيف تُرد هٰذِه الشبهات؛ حمايةً لتوحيده، ونصحًا للعامة، ودعوةً إِلَىٰ دين الله عَزَّوَجَلَّ، إِلَىٰ ما جاء به الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

والشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ هنا جمع رؤوس الشبهات الَّتِي ألقاها المتمسكون بِالشِّرْكِ في زمنه عَلَىٰ دعوة التَّوحِيْد، وبيَّن الجواب عَلَىٰ كلِّ واحدة منها تفصيلًا، بعد أن قدَّم الجواب المُجْمَل عنها جميعًا.

وَهٰذَا يا معاشر الفضلاء! من بديع صنع الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ عَزَّوَجَلَّ في الكتاب، وذلك أنَّ الجواب المُجمَل عن الشبهات مع ما تقدَّم ذِكره في المقدمة، كالتحصين للمسلم من هٰذِه الشبهات، فإنَّه إذا سمعها بعد أن عرف ما تقدَّم، وعرف الجواب المُجمَل؛ فإنها لا تضره؛ لأنه علم الجواب المُجمَل عنها، بخلاف ما لو سمع الشبهة قبل أن يعرف جوابًا عنها، فإنها قد تستقرُّ في قلبه، ثُمَّ لا يخرجها الجواب عنها بعد ذلك، لكن بطريقة الشيخ هٰذِه حصَّن المسلم من الشبهة قبل سماعها، بالمقدمات اليقينية العظيمة في أول الكتاب، وبالجواب المُجمَل عن كل هٰذِه الشبهات.

ثُمَّ ذَكَرَ الشيخ الشبهات شبهةً شبهة، وردَّ عليها بعد أن ردها بالجواب المجمَل قبل ذكرها، فكان رد الشبهات سابقًا ولاحقًا.

كان ردها المُجْمَل سابقًا لسماعها، وكان ردها المُفَصَّل لاحقًا لسماعها، ومن هنا تعلموا السر في كون الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بدأ بالجواب المُجْمَل عن الشبهات قبل ذكرها، ثُمَّ ذَكَرَ كل شبهة تفصيلًا، وذكر الجواب عنها تفصيلًا.

(المتن)

مِنْهَا: قَوْلُهُمْ: نَحْنُ لاَ نُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا، بَلْ نَشْهَدُ أَنَّهُ لا يَخْلُقُ، وَلا يَرْزُقُ، وَلاَ يَنْفَعُ، وَلا يَضُرُّ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وأَنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ نَفعًا، وَلاَ ضَرًّا، فَضْلاً عَنْ عَبْدِ الْقَادِرِ، أَوْ غَيْرِهِ. وَلكِنْ أَنَا مُذْنِبٌ، وَالصَّالِحُونَ لَهُمْ جَاهٌ عِنْدَ اللهِ، وَأَطْلُبُ مِن اللهِ بِهِمْ.

(الشَّرْحُ)

هٰذِه هي الشبهة الأولى الَّتِي ألقاها الشيطان عَلَىٰ بعض من انحرفوا عن طريق التَّوحِيْد، أو عَلَىٰ من انحرفوا عن طريق التَّوحِيْد ووقعوا في الشِّرْك بالله عَزَّوَجَلَّ، لبَّس إبليس عَلَىٰ رؤوس من القوم، ثُمَّ صار هؤلاء الرؤوس يلبِّسون عَلَىٰ عامة النَّاس، وهي أنهم يقولون: نحن لا نشرك بالله شيئًا، فليس في اعتقادنا شركٌ، وليس في فعلنا شركٌ.

أما في الاعتقاد؛ فنحن نوحِّد الله، فنحن نعتقد ونشهد أنَّه لا يخلق إِلَّا الله، ولا يرزق إِلَّا الله، ولا يدبر إِلَّا الله، ولا ينفع ولا يضر إِلَّا الله، وأنَّ كل من دون الله عَزَّوَجَلَّ لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًّا، فضلًا عن أن يملكه لغيره، فيقولون: نحن نعتقد أنَّ سيد ولد آدم نَبِيَّنا مُحَمَّدًا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **(لا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ نَفعًا، وَلاَ ضَرًّا)**، ولا يملك لابنته نفعًا ولا ضرًّا، فضلًا عن أن يملكه لبقيَّة النَّاس.

وكذلك كل من دون رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الأولياء، كعبد القادر الجيلاني؛ فإنَّا نعتقد فيه موفي غيرهم: أنهم لا يملكون لغيرهم ولا لأنفسهم نفعًا ولا ضرًّا، وبهذا فنحن لسنا مشركين في الاعتقاد.

وَأَمَّا من حيث العمل؛ فإنهم يقولون: إنَّا لا نعبد هؤلاء الأولياء، ولا الصَّالِحِيْنَ، وَإِنَّمَا نتقرَّب بهم إِلَىٰ الله ليقربونا إِلَىٰ الله؛ لأنَّ لهم مقامًا وجاهًا عند الله عَزَّوَجَلَّ، وأرواحهم الطاهرة عند الله تَعَالَىٰ، كما قَالَ الله عن الشهداء: إنهم أحياء عند ربهم.

فقالوا: إِنَّمَا نتقرب بهم لما لهم من الجاه العظيم، المنزلة الكبرى عند الله، وأرواحهم عند الله، فلو سألوا الله لنا لا يردهم، فنتوسَّط بهم؛ لأنَّ لسنا أهلًا لأن نسأل الله مباشرة؛ إِذْ أننا مقصرون مذنبون، ونحن بعيدون عن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ونظنُّ أنَّا لو سألناه لن يجيبنا، فنحتاج إِلَىٰ قريبٍ منه يقرّبنا إليه، فنحن نطلب من الله بهم، ولا نطلبهم؛ لأنَّا نسألهم ليسألوا لنا ربهم، لا لإعطائنا مباشرة.

وَهٰذَا يا إخوة معنى قولهم: "**نطلب الله بهم**"، أي: نسألهم ليسألوا لنا الله لنا، وليس مرادهم: أنهم يتوسلون بذوات الصَّالِحِيْنَ، فيقولون مثلًا: اللّٰهم يا ربنا نسألك بفلانٍ أن تعطينا كذا؛ لأنَّ هٰذَا من البدع، وليس من الشِّرْك، وَإِنَّمَا مرادهم: أنهم يسألون الصَّالِحِيْنَ، ويدعون الصَّالِحِيْنَ ليقربوهم إِلَىٰ الله عَزَّوَجَلَّ زُلفى.

هٰذِه هي الشبهة العظمى لهم، وهم يظنونها طريق الحقِّ، وهي مفتاح جميع الشبه، وإذا كُسرت؛ انكسر ما بعدها؛ ولذلك بدأ بها الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ عَزَّوَجَلَّ.

وَهٰذِه الشبهة نقرؤها في كتابات القوم، ونسمعها في تقريراتهم المعاصرة، وسيجيب الشيخ عنها جوابًا قويًّا محكمًا، لا ردَّ له.

(المتن)

فَجَاوِبْهُ بِمَا تَقَدَّمَ، وَهُوَ أَنَّ الَّذِينَ قَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُقِرُّونَ بِمَا ذَكَرْتَ لي أَيُّهَا الْمُبْطِلُ، وَمُقِرُّونَ أَنَّ أَوْثَانَهُمْ لاَ تُدَبِّرُ شَيْئًا، وإِنَمَا أَرَادُوا مِمَّنْ قَصَدُوا الْجَاهَ وَالشَّفَاعَةَ، وَاقْرَأْ عَلَيْهِ مَا ذَكَرَ اللهُ فِي كِتَابِهِ، وَوَضَّحَهُ.

(الشَّرْحُ)

➢ جواب هذه الشبهة معاشر المؤمنين من وجوه:

الوجه الأوَّل: أنَّا نقول لهم: لا نسلِّم لكم أنكم تعتقدون أنَّ هؤلاء الصَّالِحِيْنَ الَّذِينَ تتقربون إليهم لا يملكون لكم نفعًا ولا ضرًّا، فإنَّا نعلمُ وتعلمون في أنفسكم أنَّه لولا اعتقادكم فيهم أنهم

يملكون النفع والضَّرَّ؛ لما تعلقتم هٰذَا التَّعَلُّق بهم، حَتَّىٰ أنكم في الشدائد تتعلقون بهم، وتنسون ربكم، فإذا وقع لأحدكم حادثٌ، أو نزلت به مصيبةٌ أو بليَّة؛ لم يخطر عَلَىٰ باله إِلَّا هٰذَا المخلوق الَّذِي يعظِّمه، ونادى: يا سيدي عبد القادر! يا سيدي فلان! يناديه وينسى الله عَزَّوَجَلَّ، وَحَتَّىٰ قَالَ قائلكم: "**إذا أعيتكم الأمور؛ فعليكم بأصحاب القبور!**" تعلقت قلوبكم بها حَتَّىٰ نسيتم ربكم حَتَّىٰ في الشدة.

وَهٰذَا الَّذِي لم يقع حَتَّىٰ من المشركين في زمن النَّبِيّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وَحَتَّىٰ قَالَ قائلكم بما تنشدونه جميعًا:

إن لـم تكـن في معـادي آخـذًا بيـدي ... فضـلًا وَإِلَّا فقـل: يـا زلَّـة القـدمِ
يـا أكـرم الخلـق مـا لـي مـن ألـوذ بـه ... سـواك عنـد حلـول الحـادث العمـمِ
فـإنَّ مـن جـودك الـدنيا وضـرتها ... ومـن علومـك علـم اللـوح والقلـمِ

تقولون هٰذَا في النَّبِيّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ! فكيف تزعمون أنكم تعتقدون فيه أنه لا يملك نفعًا ولا ضرًّا؟! سُبْحَانَ اللَّهِ! ما تركتم شيئًا لله؟! فَهٰذَا الوجه اَلْأَوَّل.

والوجه الثَّانِي: أنَّا لو سلمنا لكم تنزُّلًا أنكم لا تعتقدون ذلك جميعًا، فإنَّ منكم من يعتقده، ويصرِّح به، فيقول: "**إنَّ الولي يرزق، وإنَّ الولي يستطيع أن يخلق الولد في رحم الأمِّ!**"، وقد سمعنا بعض أشياخكم يقول هٰذَا بصوته، يقول: "**إنَّ الولي يستطيع أن يخلق الجنين في رحم الأمِّ! ولو الخوف من اختلاط الأنساب لفعل!**" نعوذ بالله من الكفر! نعوذ بالله من الشِّرْك!

بل منهم من يقول: "**إنَّ الولي يحيي ويرد الأرواح إِلَىٰ الأجساد بعدما تخرج منها!**" وقصصكم في الأولياء شاهدة عليكم بذلك.

الوجه الثَّالِث في ردِّ هٰذِه الشبهة: سلمنا لكم أنكم تعتقدون ما ذكرتم، فإنَّ ذلك لا يجعلكم مفارقين لحال الكفَّار الَّذِينَ بُعث إليهم النَّبِيّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، ولا يجعلكم محقِّقين للتَّوحِيْدِ الَّذِي بُعث به النَّبِيّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فلو كان هٰذَا الاعتقاد الَّذِي ذكرتموه كافيًا للسلامة من الشِّرْك، وللدخول في التَّوحِيْد الَّذِي يأمر الله عَزَّوَجَلَّ به، وبعث به الرسل جميعًا، وجاء به مُحَمَّد صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ؛ لما كان لبعثة سيدنا مُحَمَّد صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فائدة! فإنَّ النَّبِيّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بُعث إِلَىٰ قومٍ يعتقدون ما تعتقدون.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾﴾ [العنكبوت: ٦١]، سُبْحَانَ اللَّهِ! ﴿فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾﴾ أين يذهبون؟ لو كان كلامهم هٰذَا توحيدًا كافيًا؛ لمدحهم الله، ولما قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾﴾.

وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [العنكبوت: ٦٣]، ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾﴾ مع أنهم قالوا هٰذَا القول، لِمَ؟ لأنهم ما وحَّدوا الله في ألوهيته.

وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [الزخرف: ٨٧]، على غير ذلك من الآيات الصريحة بأنهم يعتقدون أنه لا يرزق ولا يخلق ولا يدبر إِلَّا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ومن ذلك قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾ [يونس: ٣١]، فهم يعتقدون هٰذَا الاعتقاد، ومع اعتقادهم هٰذَا؛ فإنَّ الله ذمهم، وما سمَّاهم موحِّدين، بل سمَّاهم مشركين.

وكذلك النَّبِيّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفارقهم النَّبِيّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقاتلهم النَّبِيّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع اعتقادهم هٰذَا، ولو كان هٰذَا الاعتقاد كافيًا في الخروج من الشِّرْك؛ لرحَّب أولئك المشركون بدعوة النَّبِيّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لكنهم علموا وفهموا أنه يدعوهم مع هٰذَا الاعتقاد إِلَىٰ توحيد العبادة، فنافروه، وقاتلوه، وهم في عبادتهم إِنَّمَا يحتجون بما احتججتم به: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾ [الزمر: ٣]، وَهٰذَا بيِّنٌ من حالهم، فمادام أنهم يعتقدون أنَّ الخالق الله، وأنَّ الرازق الله، وأن المدبِّر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فإنهم ما عبدوا معبوداتهم من دون الله عَزَّوَجَلَّ إِلَّا لتقربهم إِلَىٰ الله عَزَّوَجَلَّ زُلفى؛ لاعتقادهم أنَّ هٰذِه المعبودات أولياء، ولها جاهٌ ومنزلةٌ عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وكان أولئك المشركون يقولون ما جاء عن ابن عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا حيث قَالَ: كان المشركون يقولون: "**لَبَّيْكَ لاَ شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ**"، فيقول رسو الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَيْلَكُمْ، قَدْ قَدْ**» يعني: فقوا نها،

"فَيَقُولُونَ: إِلَّا شَرِيكًا هُوَ لَكَ، تَمْلِكُهُ وَمَا مَلَكَ، يَقُولُونَ هَذَا وَهُمْ يَطُوفُونَ بِالْبَيْتِ" رواه مسلمٌ في "الصحيح". وَهٰذَا الحال هو عين حالكم أَيُّهَا الزاعمون أنكم لا تشركون بالله عَزَّوَجَلَّ.

الوجه الرَّابع في ردِّ هٰذِه الشبهة: أن نقول لهم: هٰذِه سنة النَّبِيّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بين أيدينا، وَهٰذِه سيرة نَبِيِّنَا صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بين أيدينا، وَهٰذِه سيرة الصَّحَابَة رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِم بين أيدينا، كأننا نعيش معهم، فهل حالهم فيها شيءٌ من حالكم، أو حالهم مفارقة لحالكم بالكلية؟ وهل النَّبِيّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ارتضى حالًا تشبه حالكم، أو ارتضى شيئًا من حالكم؟ لا والله.

إنَّ النَّبِيّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كان عَلَىٰ حالٍ مفارقةٍ لحالكم تمامًا، ألم يمت الشهداء في زمن النَّبِيّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وهم أحياءٌ عند ربهم أرواحهم عند ربهم؟ هل النَّبِيّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ تقرَّب إِلَىٰ الله بواسطتهم؟ هل سألهم الله؟ هل قَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ للشهداء: اسألوا الله لنا، فإنكم عند ربنا؟ هل الصَّحَابَة رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِم علهم النَّبِيّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أن يتخذوا الشهداء زلفى ووسائط ليقربوهم إِلَىٰ الله؟ لا والله، حال النَّبِيّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ مفارقٌ لحالكم، وحاله مع الشهداء وَالصَّالِحِيْنَ مفارقٌ لحالكم، وهكذا حال الصَّحَابَة رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِم، وهكذا حال التَّابِعِيْنَ رَحِمَهُمُٱللَّهُ، وهكذا حال الأئمة الأربعة رَحِمَهُمُٱللَّهُ عَزَّوَجَلَّ، ما لكم كيف تحكمون؟

الوجه الخَامِس في ردِّ هٰذِه الشبهة: أن نقول لهم: أنكم لو كنتم صادقين في اعتقادكم هٰذَا بتوحيد الله في أفعاله؛ فإنه يلزمكم لزومًا لا انفكاك عنه أن توحدوه في العبادة، فمن أقرَّ بتوحيد الربوبية؛ لزمه أن يعبد هٰذَا الرَّبّ المدبر المنعم سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

فعن ابن مسعودٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنه قَالَ: "**سَأَلْتُ النَّبِيَّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللهِ؟ قَالَ: «أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ»**" مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ، وفي روايةٍ عند الشيخين أَيْضًا: «**أَنْ تَدْعُوَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ**»، هٰذَا يدل عَلَىٰ أنَّ خلق الله لك يقتضي أن توحده في العبادة، فكان أعظم الظُّلْم أن تجعل لله ندًّا، أن تدعو من دون الله ندًّا، والله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ هو الَّذِي خلقك، لَا شَكَّ أنَّ من آمن بالله، وآمن بربوبية الله يجب عليه أن يوحِّد الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

إذا عرفت هٰذَا وأحكمته؛ فقد سددت الباب وأحكمته إحكامًا مغلقًا، لا يستطيع مغالطٌ أن يغالطك في الباب، ولا يستطيع قويٌّ أن يهزَّ نخلة الإيمان وَالتَّوحِيْد الَّتِي أنت عليها.

- وبإمكانك أن تقرِّر الجواب بطريقةٍ أخرى، بأن تقول له: أنا وأنت مقرُّون بأنَّ الله عَزَّوَجَلَّ أرسل رسوله مُحَمَّدًا صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إِلَىٰ قومٍ مشركين، ودعاهم إِلَىٰ التَّوحِيْد، فنفروا من دعوته، وآذوه، وآذوا أصحابه، وفارقهم النَّبِيّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وقاتلهم، وتوعدهم بالخلود في النَّار إن ماتوا عَلَىٰ حالهم، فهل تُقِر معي بذلك؟ لَا شَكَّ أنه سيُقِر، ويقول لك: أنا مؤمنٌ بهذا.

- فتقول له: تعال إذًا لننظر في حال أولئك المشركين وكيف كان شركهم، وتقرِّر له ما تقدَّم من إقرارهم بربوبية الله، وأنَّ إشراكهم كان في توحيد العبادة، للتَّقَرُّبِ بالأولياء إِلَىٰ الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، وتقرِّر له بالأَدِلَّةِ أنَّ النَّبِيّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لم يقرّهم عَلَىٰ ذلك، ولم يجعلهم بذلك مسلمين، ولم يخرجهم بذلك من الشِّرْك بالله.

- ثُمَّ تبيِّن له أنَّ حاله يطابق حال أولئك المشركين.

- ثُمَّ تبيِّن له أن توحيده وإقراره بتوحيد الربوبية يستلزم أن يوحِّد الله في ألوهيته.

- ثُمَّ تبيِّن له أنَّ عدم توحيده في العبادة دليلٌ عَلَىٰ خللٍ عنده في توحيد الربوبية، وإن ظنَّ أنه موحدٌ في ذلك.

وبهذا ترد الشبهة، فإن كان مغترًّا بها؛ يتركها، وإن كان مكابرًا مستكبرًا؛ فإنَّ ذلك لا ينفع فيه علاج، لكن يقوم الإنسانُ بما عليه من البيان.

(المتن)

فَإِنْ قَالَ: إِنَّ هَؤُلَاءِ الآيَاتِ نَزَلَتْ فِيمَنْ يَعْبُدُ الأَصْنَامَ، كَيفَ تَجْعَلُونَ الصَالِحِينَ مِثْلَ الأَصْنَامِ؟! أَمْ كَيْفَ تَجْعَلُونَ الأَنْبِيَاءَ أَصْنَامًا؟!

(الشَّرْحُ)

هٰذِه شبهة ثانية، ومراد الشيخ: إذا أورد عليك موردٌ هٰذِه الشبهة استقلالًا، فَقَالَ لك: إنَّ هٰذِه الآيات الَّتِي تستدل بها عَلَىٰ الشِّرْك إِنَّمَا نزلت فيمن يعبد الأصنام، فيمن يعبد الجمادات المصورة، فكيف تستدل بها علينا ونحن نعظِّم الأنبياءَ، ونعظِّم الأولياءَ، ونعظِّم الصَّالِحِيْنَ؟ أتجعل الأنبياءَ وَالصَّالِحِيْنَ كالأصنام؟!

أو أورد عليك هٰذِه الشبهة ليتخلَّص من جوابك عن الشبهة الأولى، حيث لزمه أن يُقِر بما تقدم، فيريد أن يتخلَّص من هٰذَا، فيقول لك: إنَّ حالنا يختلف عن حالهم، وكيف يختلف؟ يقول: هم يعبدون

أصنامًا، أما نحن فنحن نتقرَّب إِلَىٰ مسلمين مؤمنين، إِلَىٰ الأنبياء، إِلَىٰ الأولياء، إِلَىٰ الصَّالِحِيْنَ، ففرقٌ بيننا وبين أولئك المشركين.

➢ **طبعًا يا إخوة! هذِه الشبهة تضمنت تلبيسًا كبيرًا من جهتين:**

⇦ **الجهة الأُوْلَىٰ:** إيهام العوام أنَّ أهل التَّوحِيْد يتنقصون الصَّالِحِيْنَ، حيث يجعلون الصَّالِحِيْنَ كالأصنام! وَلَا شَكَّ أنَّ العامي إذا سمع هٰذَا سينفر.

⇦ **والجهة الثانية:** التلبيس بأنَّك إذا قلت: إنَّ الولي لا يُدْعَى من دون الله، كأنك سببته، وجعلته صنمًا، وَهٰذَا ما ينفِّر العامة من هٰذِه العقيدة، وستسمع الجواب عن هٰذِه الشبهة في كلام الشيخ.

(المتن)

فَجَاوِبْهُ بِمَا تَقَدَّمَ، فَإِنَّهُ إِذَا أَقَرَّ أَنَّ الْكُفَارَ يَشْـهَدُون بِالرُّبُوبِيَّةِ كُلِّهَا للهِ، وَأَنَّهُمْ مَا أَرَادُوا مِمن مَا قَصَدُوا إِلاَّ الشَّفَاعَةَ، وَلكِنْ أَرَادَ أَنْ يُفَرِّقَ بَيْنَ فِعْلِهِمْ وَفِعْلِهِ بِمَا ذَكَرَ.

(الشَّرْحُ)

يعني مراد الشيخ: أنَّه إذا أورد عليك هٰذِه الشبهة ليتخلَّص من التقرير اَلْأَوَّل الَّذِي دمغته به، ليقول: إنَّ بيننا وبين أولئك المشركين فارقًا، وهو: أنهم يعبدون الأصنام، ونحن لا نعبد الأصنام، وَإِنَّمَا نجعل الأولياء وَالصَّالِحِيْنَ وسيلتنا إِلَىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

(المتن)

فَاذْكُرْ لَهُ أَنَّ الْكُفَّارَ: مِنْهُمْ مَنْ يَدْعُو الصَّالِحِيْنَ وَالأَصْنَامَ.

(الشَّرْحُ)

جواب هٰذِه الشبهة أن تقول له: لا نسلِّم لك أنَّ المشركين الَّذِينَ بُعث النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليدعوهم إِلَىٰ التَّوحِيْد كانوا يعبدون الأصنام فَقَطْ، وذلك من وجهين:

⇦ **الوجه اَلْأَوَّل:** أنَّ النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بُعث إِلَىٰ النَّاس كافَّة، فلم يُبعث إِلَىٰ قريشٍ فَقَطْ، بل بُعث إِلَىٰ النَّاس كافة، بُعث إِلَىٰ الَّذِينَ يعبدون عزيرًا، بُعث إِلَىٰ من يعبدون عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، بُعث إِلَىٰ من يعبدون مريم عَلَيْهَا السَّلَامُ، بُعث إِلَىٰ من يعبدون الملائكة، فلم تكن بعثة النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَىٰ قومٍ يعبدون الأصنام فَقَطْ، ودعاهم جميعًا إِلَىٰ ترك الشِّرْك بالله عَزَّوَجَلَّ وَإِلَىٰ التَّوحِيْد.

والوجه الثَّانِي: لا نسلِّم لك أنَّ كفَّار قريش كانوا يعبدون الأصنام الَّتِي هي جماداتٌ مصورة، وذلك أنَّ قريشًا ومن يعبدون الأصنام، إِنَّمَا يعبدونها لأنهم يعتقدون أنَّ أرواحًا طاهرةً تحلُّ فيها، أو لأنَّها صورٌ لرجالٍ صالحين، فهي رمزٌ لرجالٍ صالحين، فَهٰذَا من وجهٍ.

(المتن)

وَمِنْهُمْ مَنْ يَدْعُو الأَوْلِيَاءَ الَّذِينَ قَالَ اللهُ فِيهِمْ: ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمْ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ﴾ الآية [الإسراء: ٧٥].

(الشَّرْحُ)

منهم من كان يعبد رجالًا صالحين قد ماتوا، ويقولون: إنهم أولياء، ويدعونهم من دون الله، يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ أي: أولئك الَّذِينَ يدعوهم هؤلاء المشركون، ما حال أولئك المدعوين؟ ﴿يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾ فقراء، لا يملكون شيئًا، فقراء إِلَىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، يسألون الله، ويدعون الله بحاجة إِلَىٰ أنَّ الله يرزقهم، فهم يُرزقون ولا يرزقون، بحاجة إِلَىٰ أن يدبر الله أمورهم، فهم مُدبَّرةٌ أمورهم، لا يدبِّرون، يتقربون إِلَىٰ الله، فدلَّت هٰذِه الآية عَلَىٰ أنَّ من المشركين في زمن النَّبِيّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ الَّذِينَ بُعث إليهم النَّبِيّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ من يعبدون رجالًا صالحين، عبدوهم لصلاحهم، وجعلوهم واسطةً بينهم وبين الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

(المتن)

وَيَدْعُونَ عِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ، وَأُمَّهُ، وَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [المائدة: ٧٥].

(الشَّرْحُ)

نعم، فمنهم من كان يعبد عيسى عَلَيْهِٱلسَّلَامُ، يعبده من دون الله عَزَّوَجَلَّ، فلم تكن عبادتهم مقصورة عَلَىٰ الجمادات.

(المتن)

وَاذْكُرْ له قَوْلَهُ تَعَالَىٰ: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [سبأ: ٤٠، ٤١].

(الشَّرْحُ)

وَهٰذِه الآية تدلّ عَلَىٰ أنَّ من المشركين من كان يعبد الملائكة، ويتقرَّب إليهم لقربهم من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ومنهم من كان يعبد الجنَّ؛ إِمَّا مباشرةً، فكانوا يتقرّبون إِلَىٰ الجنِّ خوفًا ورغبةً، وَإِمَّا بواسطة، فإنَّ الجنَّ يوحون إليهم كلامًا يوهمونهم به أنهم يعبدون الملائكة، وهم في الحقيقة إِنَّمَا يعبدون هؤلاء الجن.

(المتن)

وَقَوْلَهُ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَاعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ [المائدة: ١١٦].

(الشَّرْحُ)

فكل هٰذَا يدل عَلَىٰ أنَّ المشركين في زمن النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم تكن عبادتهم قاصرةً عَلَىٰ الأصنام، بل كانوا يعبدون رجالًا صالحين، وكانوا يعبدون بعض الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وكانوا يعبدون الملائكة، وكانوا يعبدون الجن، ويجمع كل ما عبده المشركون من قريشٍ وغيرهم قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكِرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [النحل: ٢٠ - ٢٢].

فَهٰذِه الآية العظيمة الشريفة تدلُّ عَلَىٰ أنَّ ما يدعوه المشركون من دون الله عَزَّوَجَلَّ منهم ﴿ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ ﴾، وَهٰذَا يدل عَلَىٰ ماذا يا إخوة؟ يدل عَلَىٰ أنهم كانوا أحياء ثُمَّ ماتوا؛ لأنه لا يوصَف بالميت أو الموت إِلَّا من كان حيًّا، ثُمَّ مات، فيدل هٰذَا عَلَىٰ أنهم ما كانوا يعبدون الأصنام فَقَطْ، فإنَّ الأصنام

فَقَطْ ما يُقال فيها: ﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ﴾، فدلَّ هٰذَا عَلَىٰ أنهم كانوا يعبدون أُناسًا صالحين في ظنهم، كانوا أحياءً ثُمَّ ماتوا.

ويزيد ذلك توكيدًا: قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾﴾ فهم سيُبعثون، وَالَّذِينَ يُبعثون إِنَّمَا هم من كانوا أحياءً ثُمَّ ماتوا.

ويجمع كل المعبودات عَلَىٰ الإطلاق: أنهم مخلوقون غير خالقين، ثُمَّ بيَّن الله هٰذِه الكلية المحكمة بقوله: ﴿إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ فالمستحق للعبادة واحد، فكل من عبد من دون الله؛ من الملائكة، والأولياء، والأنبياء، وَالصَّالِحِيْنَ، وَالشَّمْس، والقمر، والحجارة، والأوثان، والأصنام؛ فقد أشرك بالله عَزَّوَجَلَّ.

(المتن)

فَقُلْ لَهُ: عَرَفْت أَنَّ اللهَ كَفَّرَ مَنْ قَصَدَ الأَصْنَامَ، وَكَفَرَ أَيْضًا مَنْ قَصَدَ الصَّالِحِينَ، وَقَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(الشَّرْحُ)

أي: قل له: هل عرفت بما تقدَّم أنَّ النَّبِيّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عاملهم جميعًا معاملةً واحدةً، فلم يفرِّق بينهم؟ فقاتل جميعهم عَلَىٰ التَّوحِيْد، ودعاهم جميعًا إِلَىٰ التَّوحِيْد، وما فرَّق بينهم في وصف الشِّرْك، ما وصف عُبَّاد الأصنام بأنهم مشركون، ووصف غيرهم بوصفٍ آخر، بل عاملهم النَّبِيّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معاملةً واحدةً، فتبيَّن بهذا أنَّه لا فرق بين حالكم وحال أولئك الكفَّار، أنتم تعبدون رجالًا صالحين، وتعبدون القبور، بحجة أنهم يقربونكم إِلَىٰ الله زُلفى، وأولئك المشركون كانوا يعبدون رجالًا صالحين، لا يعتقدون فيهم أنهم يخلقون ويرزقون ويدبرون بذاتهم، لكنهم يقولون: ﴿لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣]، فاندفع ما زعمته من فارقٍ بينكم وبينهم.

ثُمَّ بَيَّن له أنَّا لا نجعل الصَّالِحِيْنَ والأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ مثل الأصنام، بل نحن نعتقد فضلهم، ونجلهم، ونحبهم، ونجعلهم في منزلتهم الَّتِي جعلها الله لهم، ونتبعهم، ونسير عَلَىٰ طريقتهم، وننزههم عن الشِّرْك، وننزههم عن أن يكونوا معبوداتٍ من دون الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وندافع عنهم، وندافع عن دينهم.

أما أنتم؛ فأنتم الَّذِينَ جعلتم الأنبياء وَالصَّالِحِيْنَ كالأصنام، حيث عبدتموهم من دون الله عَزَّوَجَلَّ، فخالفتموهم، وأنزلتموهم عن منزلتهم حيث غلوتم فيهم، والغلوُّ: إنزالٌ عن المنزلة كالجفاء، من زاد في منزلة إنسان فقد أنزله عن منزلته، فالغلوُّ والجفاء فيهما إنزالٌ عن المنزلة؛ لأنكم لمَّا غلوتم في الأنبياء عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ، لمَّا غلوتم في سيدنا وحبينا وقرة أعيننا نَبِيِّنَا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وجعلتم له ما لله عَزَّوَجَلَّ؛ والله قد أنزلتموه عن منزلته؛ لأنَّ منزلته العظمى: أنه رسول الله الَّذِي دعا إِلَىٰ التَّوحِيْد، وحقَّق التَّوحِيْد، ونهى عن الشِّرْك، فأنتم قادحون في رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

أما نحن أهل السُّنَّة، أهل التَّوحِيْد؛ فإننا عرفنا للأنبياء منزلتهم، وأنزلناهم منازلهم، وعرفنا فضلهم، وسرنا عَلَىٰ طريقهم، واهتدينا بهداهم، ودعونا إِلَىٰ دينهم، ودافعنا عن دينهم، ودافعنا عنهم، هٰذَا يا إخوة ينبغي بيانه؛ لأنَّ أهل الانحراف بشتَّى صورهم يحاولون أن يوهموا العامَّة أنَّ أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة لا يعرفون للأنبياء فضلهم عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ، ولا يعرفون للأولياء وَالصَّالِحِيْنَ مقامهم ومنزلتهم، فينبغي بيان ذلك.

لعلنا نقف عند هٰذِه النقطة، ونكمل هٰذَا التقرير النفيس العظيم البديع الَّذِي قرَّره هٰذَا الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ عَزَّوَجَلَّ رَحْمَةً وَاسِعَةً، وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، ونجيب عن شيءٍ من الأسئلة، نجيب عن سؤال أو سؤالين، الوقت ضاق.

الأسئلة

السؤال: جَزَاكُمُ اللهُ خَيْرًا، وَبَارَكَ اللَّهُ فِيكُمْ، نفعنا الله بما سمعنا! أحسن الله إليكم! هٰذَا يقول: رجلٌ حان وقت إحراج زكاته، وله أخٌ مدين، يقول: والمشكلة أن غرماءه فيهم إجرام، والغالب: أنَّ المال الَّذِي أقرضوه إياه حرام، فهل يجوز إعطاء هٰذَا الأخ الزَّكَاة لسداد دينه؟

الجواب: أعد.

السؤال: يقول: رجلٌ حان وقت إحراج زكاته، وله أخٌ مدين، والمشكلة أن غرماءه فيهم إجرام، والغالب: أنَّ المال الَّذِي أقرضوه إياه حرام، فهل يجوز إعطاء هٰذَا الأخ الزَّكَاة لسداد دينه؟ علمًا بأنَّ غرماءه يهددونه.

الجواب: ينبغي أن نعلم أنَّ الغارم المدين من أهل الزَّكَاة، لكن التحقيق في الباب: أنه لَا بُدَّ من النظر إِلَىٰ سبب دينه، فإن كان سبب دينه محرَّمًا، كأن كان يشتري المخدرات والمسكرات والدخان، ويستدين من أجل هٰذَا فَقَطْ، أو كان سبب دينه سرفًا وتبذيرًا؛ فإنه لا يكون من أهل الزَّكَاة، ولا يُعطى من الزَّكَاة.

فإذا علمت أنَّ سبب دين أخيك إِنَّمَا هو الحرام فَقَطْ لا يخلطه شيء، أو السرف والتبذير فَقَطْ لا يخلطه شيء؛ فلا تعطه من الزَّكَاة.

إِلَّا أن يُحدِث توبةً تعلمها، فإنه يُعطى ليعان بذلك عَلَىٰ هٰذِه التَّوبَة.

أما إذا لم تعلم ذلك في سبب الدين؛ فإنَّ المدين من أهل الزَّكَاة، فتعطيه من الزَّكَاة، ولو كان سيدفع ذلك مثلًا إِلَىٰ شخص صاحب باطل أو نحو ذلك، لكنه استدان منه دينًا يجب عليه رده، ولم يكن سبب ذلك حرامًا هو مستمرٌّ عليه لم يتب منه، ولا إسرافًا ولا تبذيرًا.

السؤال: أحسن الله إليكم! هٰذِه سائلة تقول: أنها حلفت مرات كثيرة، ولا تعلم عددها، ولم توفِ ولم تستطع دفع الكفارة، فماذا عليها؟

الجواب: أولًا: ينبغي عَلَىٰ الإنسان أن يتحفظ في اليمين، وألَّا يتساهل في الحلف بالله، فإنَّ شأن الله عظيم، ولا يُحلف به إِلَّا عند الحاجة، ولا يُسأل به إِلَّا عن شيءٍ عظيم، أو في شيءٍ عظيم، وتساهل النَّاس في اليمين وفي الأيمان أمرٌ ينبغي زجرهم عنه، وينافي تعظيم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فينبغي عَلَىٰ المسلم أن يعوِّد نفسه ضبط لسانه في الأمور كلها، وضبط لسانه في اليمين، وألَّا يتساهل في الأيمان.

ثُمَّ إنَّ اليمين الَّتِي ترد عَلَىٰ لسان الإنسان من حيث الأصل عَلَىٰ نوعين:

ﷺ النَّوْع اَلْأَوَّلُ: لا يريدها، ولا يريد عقدها، ولا يريد التأكيد بها، وَإِنَّمَا تجري عَلَىٰ لسانه جريانًا، كقول بعض النساء مثلًا بعض الأمهات لأبنائهن: والله أضربك، والله إذا مسكت سأضربك، والله كذا، وهي لا تريد هٰذَا، أو قول الشخص لآخر -كما يقول العامة: من وراء قلبه-: والله تتغدى عندنا، وهو يقول: يا رب ما يأتي! هٰذَا لغو ينبغي عَلَىٰ الإنسان أن يتحرَّز عنه، لكن ما يترتب عليه شيء.

ﷺ وَإِنَّمَا الَّذِي تترتب عليه الأحكام: اليمين المنعقدة، الَّتِي أراد قائلها اليمين، وقصد اليمين، وعقد اليمين، فَهٰذِه يترتب عليها إذا كانت فيما يفعله الإنسان في المستقبل، لا في خبرٍ عن ماضٍ، أو في الحاضر، يفعله في الحاضر لا في خبرٍ عن ماضٍ، فإنه إن فعل؛ برَّت يمينه، وإن لم يفعل؛ فإنه يلزمه كفَّارة اليمين.

وكفَّارة اليمين كما هو معلوم: أن يُعتق رقبة، أو يُطعم عشرة مساكين، أو يكسوهم، فإن كان لا يستطيع كل هٰذَا؛ فإنه يصوم ثلاثة أيام، أما مبادرة العامة للصِّيَامِ؛ فيحلف أحدهم، ثُمَّ يقول: الله يعينني عَلَىٰ صيام ثلاثة أيام، وهو يستطيع أن يطعم عشرة مساكين؛ فَهٰذَا لا ينفعه ولو صام مائة يوم، إِنَّمَا الصوم في كفَّارة اليمين للعاجز عن الإعتاق، أو إطعام عشرة مساكين أو كسوتهم.

وَهٰذِه الأخت لا ندري عن حال أيمانها، لكن إذا كانت منعقدة:

☜ فَالَّذِي أُفتي به أنا: إن كانت هٰذِه الأيمان معلومة محفوظة؛ فإنه يُكفَّر عن كل يمين ولا تتداخل، وإن قَالَ بعض الفقهاء بالتداخل مع اختلاف الأيمان، نعم إذا كان اليمين عَلَىٰ شيءٍ واحد.

- مثلًا قَالَ إنسان: والله لا أزور أخي، ثُمَّ بعد أسبوع قَالَ: والله لا أزور أخي، ثُمَّ بعد شهر قَالَ: والله لا أزور أخي، ثُمَّ زاره مرة؛ فإنه يكفر كفارة واحدة.

- لكن إذا تعددت الأيمان، وحنث الحالف فيها، وهي محفوظة؛ فإنها لا تتداخل، بل يكفِّر عن كل يمينٍ كفَّارة.

☜ أما إذا لم تكن محفوظة؛ فإنَّ الَّذِي أفتي به -واللهُ أَعْلَمُ-: أنها تتداخل، ويكفِّر كفَّارةً واحدة عن كل ما لم يحفظه، ويستغفر الله لعدم ضبطه، هٰذَا الَّذِي يظهر لي في المسألة -واللهُ أَعْلَمُ-.

وفَّق الله الجميع، وتقبَّل الله من الجميع.

وَصَلَّ اللهُ عَلَى نَبِيِّنَا وَسَلَّمَ.